العلم رحم بين أهله

للأستاذ عبدالله بن حمد الحقيل

المكتبة ركن أساسي في الحياة العلمية ومظهر حضاري في حياة الأمم والشعوب.. حيث أن الكتاب من أهم وسائل المعرفة وفي تكوين طلاب العلم تكوينا سليما وعلى مدى التاريخ كله مازال الكتاب يضيف إلى تراث الأمم مزيداً من المعارف في مختلف مجالات الفكر والإبداع.. وقد بدأ الاهتمام بالعلم عند المسلمين منذ بداية الدعوة الإسلامية وذلك التزاماً بالأمر الرباني لرسوله صلى الله عليه وسلم بقوله عز وجل «اقرأ» وبالأحاديث النبوية التي تحث على العلم والبحث عنه..

فالكتاب وسيلة تثقيف ومعرفة وترفيه .. وفي المكتبة يلتقي الماضي بالحاضر، ويطل الحاضر على المستقبل .. وعلى مدى التاريخ فالمكتبات تجسد بجلاء صورة أمينة لتاريخ الأمم وستظل المكتبات من أهم مراكز الإشعاع الثقافي والفكري ومازالت تحمل على عاتقها هذه المسئولية التاريخية المجيدة فهي شاهدة على الحضارة ودليل على المعرفة .. والمكتبة تخدم الدارسين والباحثين، وأصبحت اليوم موضع اهتمام الأمم، وتحرص الجامعات ومراكز البحوث على تطوير مكتباتها وتسخيرها لخدمة طلابها وروادها .. فالمكتبة هي المكان الذي يجمع المادة المكتوبة وينظمها ويحفظها وييسر استعمالها لمن يبتغيها وعلى مدى قرون من الزمان لم يكن أمام الإنسانية من وسائل الثقافة غير الكتاب .. ولذا فكم يسعد المرء حينما يسمع بقيام البعض من العلماء والأدباء بوقف مكتباتهم للجامعات .. ولا شك أن هذا العمل يعتبر بادرة طيبة وعملاً جليلاً وتاريخاً مجيداً .. فمتى قدم المرء مكتبته لإحدى الهيئات العلمية فإنها ستعنى بها، وستحافظ على ما بها من مخطوطات نادرة وتعمل على صيانتها والحفاظ عليها وتحقيق ما يستحق التحقيق وطباعته ونشره..

وتشهد بلادنا اليوم نشاطاً مكتبياً عريقاً ولا غرو فتاريخ الكتاب والمكتبات عند أسلافنا تاريخ ممتد طويل .. ولذا نرجو من كل صاحب

مكتبة أن يبادر بالتبرع بها للهيئات والمؤسسات العلمية حفاظاً عليها وصيانة لها من التلف والضياع بعد وفاته .. فقد يرثها من لا يعرف قدرها وقيمتها العلمية، وكونها تراثاً والتراث لا يورث، وإنما هو ملك للجميع .. فكم من مكتبات أحرقت وضاعت وأهملت وفقدت لأنها تركت في أيد لا تعرف قدرها..

لقد شغف علماؤنا بالكتب وجمعها حتى كانوا يرون نكبتهم في أموالهم أيسر عليهم من نكبتهم في كتبهم، والأدب العربي هو أغنى الآداب العالمية القديمة بالإشادة بالكتاب والولع به والتحدث عنه حتى حق لعالم كبير مثل غوستاف لوبون أن يقول: إن حب العرب للعلم والكتاب كان عظيماً وأنهم بلغوا درجة رفيعة من الثقافة بعد أن أتموا فتوحهم بزمن قصير حتى استطاعوا أن يبدعوا حضارة أينعت فيها الآداب والعلوم والفنون وبلغت الذروة.

إن الكثير من المكتبات الخاصة تحفل بنفائس المخطوطات النادرة والكتب القيمة .. لقد كان أسلافنا يرحمهم الله يعنون بالكتاب ويحرصون على ابتياعه أو نسخه وكانوا يوصون بوقفه على معاهد العلم والمساجد مع الحرص على اختيار الحذَّاق من النساخ والمهرة في الضبط والنقل، والإجادة في التجليد. ومن المعروف أن مكتبة العباسيين في بغداد والفاطميين في القاهرة، والأمويين في قرطبة من أعظم المكتبات، ولها الفضل الكبير في حفظ التراث الإسلامي..

إن الكتاب ركن أساسي من أركان العملية التعليمية لا تقوم إلا به، ولذا ينبغي أن نحرص على اقتنائه وتوفيره لطلاب العلم ليسهم في زيادة رصيدهم العلمي من المعرفة والثقافة .. ولقد روى ياقوت أن عدداً من المكتبات تبرع بها أصحابها وأن الكثير من العلماء كانوا يوصون بأن تؤول مكتباتهم إلى دور العلم، كما فعل الصاحب بن عباد حين أوقف مكتبته على الري، كما أن مروكان بها في مطلع القرن السابع الهجري عشر خزائن للوقف وجميعها مجانية والإعارة فيها بدون رهن. وكذلك في البصرة والكوفة والقاهرة والأندلس كانت مساجدها تحتفظ بكنوز الثقافة وديعة غالية تصونها وتؤديها لأبناء الإسلام جيلاً بعد جيل..

إنه نداء موجه إلى كل صاحب مكتبة في بلادنا ألاَّ يحبسها أو يجعلها عرضة للتلف والإهمال إذ لا ينبغي حبس الكتب والمخطوطات. . ولقد اتصل بي منذ أيام مجموعة من الإخوة الباحثين يسألون عن بعض المخطوطات، ويرغبون في تحقيقها وجزء منها لدى ورثة أصحاب تلك المكتبات الخاصة وبالاتصال بهم لتصويرها واستعارتها استجاب البعض ورفض البعض بكل أسف إن وقف المكتبة

والتبرع بها للمدارس والجامعات والأندية الأدبية والمكتبات العامة والهيئات العلمية إلى غير ذلك عمل خيري عظيم، لأنه ذو نفع كبير فهو كالصدقة الجارية.. فقارىء الكتاب يستزيد منه علما، وهذا العلم ينفع به نفسه، وينفع الآخرين.. وناشر المخطوطة يبرز مافيها من علم دفين، فأتاحه لنفسه ولغيره.. وتداول العلم مطلوب شرعاً، وثواب ذلك يعود لمؤلف الكتاب، وناشره، وناقله لغيره.. والساعي في طلبه، وميسِّره لكل ظمآن لطلب العلم.. فكن يا أخي واحداً من هؤلاء.. ولتكن قدوة حسنة، ومثلاً طيباً في التسابق لهذا العمل الخيري الجليل.. فالعلم رحم بين أهله.. والله الموفق والهادي إلى أقوم طريق..

●●●

مجلة
البحوث والدراسات العربية

تصدر سنوياً
عن معهد البحوث
والدراسات العربية

- تعني المجلة بنشر البحوث العلمية والدراسات الأصيلة التي لم يسبق نشرها، ويتقدم بها الأساتذة والباحثون من أعضاء هيئات التدريس بالجامعات العربية وغيرهم، وذلك في المجالات المتصلة ببحث القضايا والمشكلات العربية المعاصرة في أبعادها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتاريخية، والجغرافية، والقانونية. كما تعني بإبراز الملامح الرئيسية للأدب والفكر العربي المعاصر، وبخاصة ما يعكس منها الروابط الثقافية بين الأقطار العربية، إلى جانب اهتمامها الخاص بالدراسات الفلسطينية.
- يراعى في البحث أن يتراوح حجمه بين ستة آلاف وثمانية آلاف كلمة، وأن يرفق به موجز بإحدى اللغات الأوروبية لايزيد عن ألف كلمة، ويطبق هذا أيضاً على البحوث المقدمة للنشر بلغات أجنبية.

ترسل المكاتبات الخاصة بالمجلة على العنوان التالي:
الأستاذ الدكتور/ محمد صفي الدين أبو العز. رئيس معهد البحوث والدراسات العربية.
١ شارع الطلمبات ـ جاردن سيتي ـ القاهرة (ص.ب ٢٢٩). تلغرافياً: إيريلاليا، ☎: ٣٥٤٠٦٥١

مرافق الحج
والخدمات المدنية للحجاج
في الأراضي المقدسة

مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة

عرض الأستاذ ناصر بن عبدالله الغالي

يتناول الكتاب المرافق والخدمات المدنية التي قدمت للحجاج في الأراضي الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة وحتى سقوط الخلافة العباسية.

وقد صدر الكتاب هذه الأيام ضمن مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ويحتل الرقم ثمانية وثلاثين في هذه السلسلة ومؤلفة الدكتور سليمان عبد الغني مالكي أحد أعضاء هيئة التدريس بجامعة أم القرى.

وهذه الدراسة التي تقع في مائة وأربع وسبعين صفحة من الحجم المتوسط، دراسة تاريخية وصفية، تناولت بشيء من التفصيل، تلك الخدمات التي قدمت للحجاج، في كل من مكة والمدينة. وترجع أهمية دراسة الخدمات التي قدمت للحجاج، إلى أن حصر تلك الخدمات، ومعرفة أنواعها، ووسائلها، وتطورها، والتغير الذي حدث لها من زمن لآخر، يعطينا فكرة واضحة موثقة، عن الاهتمام الذي تحظى به تلك الأماكن، من حكام المسلمين في كل مكان، وذلك لما لها من أهمية في نفوس المسلمين عموماً. وعندما يخرج القارىء بعد قراءته الكتاب بمعرفة هذه الخدمات، سيدرك مدى ضخامة ما يقدم للحرمين الشريفين من خدمات، وتوسعة، واهتمام بالغ .. وما يقدم لكل زائر لهذه الأماكن من جهد واضح، وخدمته والسهر على راحته حتى يتسنى له العبادة في جو آمن يعبق بشذا الأمن والرخاء..

واستطاع الكاتب أن يجمع شتات مادته من أوعية العلم المختلفة، من مصادر خطية، وأخرى مطبوعة بلغت الخمسين مصدراً، ومراجع حديثة، عربية، وأجنبية، وعدد من الدوريات العلمية، والمجلات.

وقسم المؤلف كتابه إلى **مقدمة، وأربعة فصول**:

وقد بينت **المقدمة أهمية** دراسة هذه الخدمات، وسبب اختيار الكاتب لهذا الموضوع، حيث أنه كان بعيداً عن أنظار الكتَّاب ولم يتناولوه بالدراسة والبحث.

أما **الفصل الأول**: فقد درس مكة والمدينة قبل ظهور الإسلام، وتحدث عن جغرافية هاتين المدينتين وتاريخها، وعن أهم الخدمات التي قدمت لهما في العصر الجاهلي، وتنظيمات قصي بن كلاب التي تمثلت في السقاية، والرفادة، والحجابة، ووضَّح الدور الزراعي، والاقتصادي، الذي قامت به المدينة في العصر الجاهلي، وتحدث عن طرق التجارة، وتجارة المدينة الداخلية والخارجية.

والفصل الثاني: يعقده المؤلف للحديث عن مرافق الحج في مكة المكرمة، والمشاعر، وما قدم فيها للحجاج. من خدمات، كتوفير المياه أثناء موسم الحج، من الآبار والعيون، وتوفير الأطعمة، والمأكولات والسكن.

لذا اهتم الخلفاء، والأمراء، والتجار بيناء الدور، والأربطة الخاصة لسكن الغرباء، والمنقطعين والحجاج. يلي **ذلك الفصل الثالث**: ويشتمل على خدمات الحجاج ومرافق الحج في أمكنة المشاعر، ودور سكان مكة في توفير الإقامة للحجاج بها فترة أداء نسك الحج.

كما تحدث المؤلف في هذا الفصل عن أعطيات الخلفاء لولاة مكة، والأحداث السياسية التي وقعت في مكة، وفي أمكنة المشاعر، والتي كانت صدى للتنافس بين خلفاء العباسيين، والفاطميين، ومن بعدهم سلاطين الأيوبيين، وسلاطين الرسوليين على سيادة الأماكن المقدسة، وعلى إخضاع أشراف مكة لسلطانهم.

كما يلي ذلك **الفصل الرابع والأخير** والذي عقده المؤلف للحديث عن خدمات الحجاج في المدينة المنورة.

وقد بدأ هذا الفصل بالحديث عن الطريق من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وما أقيم فيه من خدمات للحجاج.

وعن المياه في المدينة ومدى عناية الخلفاء بالعيون، والآبار التي تتوفر بها .. وعن الدور والأربطة التي كانت تنشأ لزوار المدينة المنورة.

كما تعرَّض أيضاً لدور الأعطيات التي كان يقوم الخلفاء بإرسالها إلى ولاة المدينة، وسكانها فقد حرص خلفاء الدولة الأموية، وخلفاء الدولة العباسية، وخلفاء الدولة الفاطمية، وغيرهم من سلاطين الأيوبيين، ثم الرسوليين، على رعاية أهلها، وكسب أمرائها، وتقديم الأعطيات لهم، لتثبيت نفوذهم السياسي في العالم الإسلامي.

وهذا الكتاب الذي صدر حديثاً يتميز بمميزات عدَّة منها:

- إنه حَصَرَ تلك الخدمات وقصر دراسته عليها.
- وصفه لتاريخ وجغرافية، مكة والمدينة، وذلك لبيان ما لهذه الخدمات من أهمية.
- دراسة لتنظيمات قصي بن كلاب، وذلك لترتيب الموضوع بشكل منطقي، ومعرفة تسلسلها التاريخي.
- بيان ما حصل في هذه الديار من أحداث، وما حل بها من دمار، بسبب السيول الجارفة، وذلك لكي يعرف القارىء مدى حاجة الحجاج لهذه الخدمات.
- التقصي الجيد للمعلومات، وتحري صدقها، وذلك بالرجوع إلى كثير من المصادر، والمراجع، حتى الأجنبية منها.

وأخيراً فإن الدراسة دراسة تاريخية وصفية، اعتمد فيها المؤلف على المصادر القديمة .. فخرج بهذه الدراسة التي بيَّنت ما قدم لحجاج بيت الله الحرام من خدمات .. وبيَّنت أهمية تلك الأماكن في نفوس المسلمين عامة على مرِّ الأمنة.

وهي دراسة مهمة ومفيدة للقارىء. إذ يخرج منها وهو على معرفة بتاريخ تلك الخدمات. ويعرف من أين وكيف بدأت؟ وإلى أي صورة وصلت في عصرنا الحاضر!

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين حفظه الله، الذي أولاها جُلَّ عنايته بتوسعة الحرمين الشريفين، وأخذ على عاتقه خدمة الحجاج، والسهر على راحتهم، فشق لهم الطرق، وأفسح لهم الأرض، ورغب بذلك إلى رضاء الله، لا إلى ثناء الناس.

فوصلت في عهده حفظه الله، إلى الروعة في البنيان، والبراعة في الخدمة، والعمل بصمت.

وبعد فالدراسة ـ فيما أرى ـ دراسة جيدة، وجهد علمي مشكور..

◆